مجلة الميدان للعلوم الانسانية والاجتماعية
المجلد 05/ العـدد: 03 ص 09-14
تاريخ الاستلام: 21/11/2022 تاريخ القبول: 28/11/2022

بلاغة علم المعاني في القرآن الكريم

The rhetoric of the science of meanings in the Holy Qur'an

بن حدة فاطنة
جامعة زيان عاشور الجلفة

ملخص:

يعد علم المعاني قطبا تدور عليه مفاتيح الجمال البلاغي اللفظي إذ يعنى باللفظ و مدلولاته ,و"قد قيل أن أصل علم المعاني كما مر من نظرية النظم التي وضعها عبد القاهر الجرجاني رحمه الله فقد أبحر العلامة في هذه النظرية كما هو مسطر في سفره البديع دلائل الإعجاز، فعظم من شأن النظم وتعظيم قدره والتنويه بذكره و إجماعهم أن الأفضل مع عدمه و " أنه القطب الذي عليه المدار والعمود الذي به الاستقلال و ما كان بهذا المحل من الشرف و في هذه المنزلة من الفضل كان حريا بأن توقظ له الهمم وتوكل به النفوس وتحرك له الأفكار وتستخدم في الخواطر .

ملخص باللغة الانجليزية:

The science of meanings is a pole on which the keys to verbal rhetorical beauty revolve, as it is concerned with utterances and its meanings, and "it has been said that the origin of the science of meanings, as it passed from the theory of systems developed by Abd al-Qaher al-Jurjani, may God have mercy on him, has sailed the scholar in this theory as it is underlined in his wonderful book Evidence of Miracles So he magnified the importance of arranging, glorifying his value, mentioning his mention, and their unanimity that the best is with his non-existence, and that he is the pole on which the orbit is based and the pillar on which independence is. Thoughts are used in thoughts.

المؤلف المرسل:

.

1- التعريف بعلم المعاني:

يقول الخطيب القزويني :" هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال "[1]

ويقول الإمام السكاكي : "هو تتبع خواص تركيب الكلام في الإفادة و ما يتصل بها من الاستحسان و غيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما تقتضي الحال ذكره[2] .

ويعرفه الدكتور عبد القدوس أبو صالح :" علم تعرف به أصول مراعاة الكلام لمقتضى الحال وتأديته وفق ما يطلبه المقام من إخبار أو إنشاء أو من فصل أووصل ومن إيجاز أو إطناب إلى غير ذلك من فروعه [3].

2- فنون علم المعاني :

فنون علم المعاني كثيرة يمكن أن نذكر بعضا من موضوعاته :

1- الخبر والطلب
2- أضرب الخبر
3- الإنشاء الطلبي
4- الأمر
5- النهي
6- النداء
7- التقديم و التأخير
8- الإطناب
9- المساواة
10- الإيجاز

والبحث هنا عن مدى إسهام تنوع توظيف العناصر البلاغية في التعبير القرآني في إبراز المعنى المراد من الخطاب القرآني و الوقوف على نماذج من العناصر السالفة الذكر المتضمنة في علم المعاني مع محاولة رصد جمالية هذا التنوع في التوظيف.

2- 1- أغراض الخبر :

و أما الخبر فمنه يقين ومنه تصديق .

«فاليقين» ينقسم إلى ثلاثة أقسام, أحدهما خبر الاستفاضة و التواتر الذي يأتي على ألسن الجماعة المتباينة هممهم و إرادتهم و بلدانهم و لا يجوز أن يتلاقوا فيه ويتواطئوا عليه, فذلك يقين يلزم العقل الإقرار بصحته, و بهذا النوع من الإخبار ألزمنا الله حجج الأنبياء و نحن لم نشاهدهم و لم نر آياتهم و لم نسمه احتجاجهم على قومهم, وذلك من تسخير الله الناس حتى تقوم الحجة, و إلا فكل واحد من الناس يجوز عليه الصدق و الكذب, فإذا تواترت أخبارهم كان ذلك زائدا حقا لما قدمنا, و ليس التواتر فعلهم فيجوز أن يفعلوا ضده.

والثاني خبر الرسل عليهم السلام و من جهر من الأئمة الذين قامت البراهين و الحجج من العقل عند ذوي العقول على صدقهم و عصمتهم, و ظهور المعجزات التي لا يجوز أن تكون بنوع من الحيل و ليس بطبع البشر الإتيان بمثلها على أيديهم[4].

و للتدليل على صحة توجهنا المتمثل في الكشف عن التحولات البلاغية في التعبير أمكن تحسس بعضها في الوقوف على المعاني الثواني التي يمكن الخلوص إليها بالنظر في تعدد استعمال القرآن الكريم لقضايا الإخبار الأمر الذي سوف نورده فيما يلي:

- "الإلتماس : وهو طلب الفعل الصادر عن الأنداد و النظراء المتساوين قدرا و منزلة.
- التمني : وهو طلب الأمر المحبوب الذي يجرى وقوعه إما لكونه مستحيلا و إما لكونه ممكنا غير مطموع في نيله.

[1] الإيضاح في علوم البلاغة ، دار الكتب العلمية ،بيروت،ط1405،1،ص 15

[2] مفتاح العلوم لأبي يعقوب السكاكي، منشورات دار الكتب العلمية،1984،ص 86

[3] علم المعاني والبديع،عبد القدوس صالح ،مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ،1403هـ،ص 17

[4] نقد النثر ،قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي،مكتبة الشباب،مصر 1969،ص28-29.

- النصح و الإرشاد : و هو الطلب الذي لا تكليف و لا إلزام فيه و إنما هو طلب يحمل بين طياته معنى النصيحة و الموعظة و الإرشاد[5] .

- التخيير : وهو أن يطلب من المخاطب أن يختار بين أمرين أو أكثر , مع امتناع الجمع بين الأمرين أو الأمور التي يطلب إليه أن يختار بينها .

- الإباحة : وتكون الإباحة حيث يتوهم المخاطب أن الفعل محظور عليه , فيكون الأمر إذنا له بالفعل و لا حرج عليه في الترك و ذلك نحو قوله تعالى في شأن الصائمين : « كلوا و اشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر »[6]

- التعجيز : وهو مطالبة المخاطب بعمل لا يقوى عليه , إظهارا لعجزه و ضعفه وعدم قدرته, ولا ذلك من قبيل التحدي , نحو قوله تعالى : « يا معشر الجن و الإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات و الأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان»[7] ونحو قوله تعالى في شأن من يرتابون في نزول القران على الرسول صلى الله عليه وسلم : «و إن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله و ادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين» [8] , فليس المراد طلب إتيانهم بسورة من مثل القران الكريم لأنه محال عليهم أن يأتوا بسورة من نوعه ، وإنما المراد هو تحديهم وإظهار عجزهم.

- التهديد : ويكون باستعمال صيغة الأمر من جانب المتكلم في مقام عدم الرضا منه بقيام المخاطب بفعل ما أمر به تخويفا وتحذيرا له نحو قوله تعالى : « اعملوا ما شئتم إنه مما تعلمون بصير»[9] فالأمر هنا موجه لمن يلحدون في آيات الله وكقوله أيضا«فتمتعوا فسوف تعلمون»[10] وقوله :«قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار»[11].

- التسوية: وتكون في مقام يتوهم فيه أن أحد الشيئين أرجح من الأخر، نحو قوله تعالى :«أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم»[12]

فقد يظن الإنفاق كرها ولذلك سوي بينهم في عدم القبول ونحو قوله تعالى:«اصبروا أو لاتصبروا»[13] فليس المراد في الآيتين الأمر بالإنفاق أو الصبر وإما المراد هو التسوية بين الأمرين.

- الإهانة و التحقير: و يكون بتوجيه الأمر إلى المخاطب بقصد استصغاره و الإقلال من شأنه والإزراء به وتبكيته، نحو قوله تعالى:«ذق إنك أنت العزيز الكريم» وقوله تعالى على لسان موسى مخاطبا السحرة :«ألقوا ما أنتم ملقون»[14].

- التكوين : ويسميها بعض البلاغيين«التسخير» وذلك حين يكون المأمور مسخرا منقادا لما امر به نحو قوله تعالى: :«كونوا قردة خاسئين»[15] أي صاغرين مطرودين.

- التلهيف و التحسير : نحو قوله تعالى: :«قل موتوا بغيظكم»[16].

- التعجب: نحو قوله جل ثناؤه:«اسمع بهم وأبصر»[17].

- الندب:بأن تكون صيغة الفعل أمرا ومعناه الندب بمعنى أن المخاطب في حل ما من فعله ، نحو قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم

---

[5] المرجع السابق، ص 45

[6] البقرة،187

[7] الرحمن،33

[8] البقرة،23

[9] فصلت ،40

[10] النحل،55

[11] إبراهيم ،30

[12] التوبة،53

[13] الطور،16

[14] الشعراء 43

[15] الأعراف،166

[16] أل عمران،120

[17] مريم،38

»[18] والثالث ما تواترت أخبار الخاصة به مما لم يشهده العامة ، فإن تواترهم في ذلك نظير تواتر العامة . وقد بين الله عز وجل لزوم ذلك ووجوب التصديق به فقال: « أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل »[19].

وقد يستنبط علم باطن الأشياء بوجه آخر وه الظن والتخمين وذلك فيما لا يوصل إليه بقياس ولا يأتي فيه خبر، و في الظن حق و باطل، و لذلك قال الله عز و جل : «إن بعض الظن إثم»[20].

2 - 2 - أضرب الخبر:

ومما يمكن أن نلاحظه بخصوص التنويع في استخدامات الخبر في التعبير القرآني، و هو إن تعددت دواعيه، فإننا نجد أنها تشكل إحدى أهم أسرار تجلية المعنى، و الإبانة عن حقيقته المرادة التي يسهل الكشف عنها لكل من استطاع الإلمام بمقتضيات التعبير القرآني و خصائصه ذات الفاعلية في إدماج المتلقي، و تحفيز استعدادات الفهم لديه، قلت مما يلاحظ هاهنا، نجد ما عبر عنه علماؤنا بمصطلح أضرب الخبر الذي سوف نعرضه فيما يلي :

ينقسم الخبر- باعتبار ملاحظة مطابقته لما يتطلبه ظاهر حال المخاطب - إلى ثلاثة أقسام : الابتدائي والطلبي و الإنكاري[21] .

الأول : الابتدائي

هو الخبر الذي يكون خاليا من المؤكدات؛ لخلو ذهن المخاطب من الحكم ، وعدم تردده فيه، لتمكن الحكم في الذهن حيث وجده خاليا، نحو قوله تعالى : «ويقولون آمنا بالله و بالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك »[22].

وقوله تعالى : «المال والبنون زينة الحياة الدنيا»[23]، فالملاحظ أنه أسلوب خبري خلت منه جميع أدوات التوكيد.

الثاني : الطلبي

هو الخبر الذي يلقى لمن يتردد فيه ، ولا يعرف مدى صحته ، مع طلبه الوقوف على حقيقة الأمر، وفي هذا الحال يحسن التوكيد ؛ ليتمكن من نفسه ، وذلك بإدخال إحدى أدوات التوكيد؛ محوا لهذا التردد، تمكينا للحكم في ذهنه ؛ سواء إستوى لديه طرفا الإثبات و النفي أو كان لأحدهما أرجحية على الآخر. هذا هو مذهب الجمهور .

و للإمام عبد القاهر الجرجاني رأي آخر ، فإنه استحسن التأكيد للمتردد الذي يرجح أحد الأمرين ، و كأنه ينكر الأمر الآخر ، فيؤكد له الكلام لتحويله عن هذا الأمر الراجح عنده ، بخلاف الشاك الذي إستوى عنده الأمران، فإن أدنى إخبار يمحو شكه، فيزيل تردده ، فلا داعي لتأكيد الحكم له ، و شأنه في ذلك شأن خالي الذهن [24].

و هذا لا يحسن تطبيقه على كل الأحوال ، فمثلا في قوله تعالى :«و جاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين»[25].

لم يكن موسى عليه السلام شاكا في الخبر أو مرجحا لخلافه ، وإنما كان طالبا الوصول لمعرفته ، والوقوف على حقيقته ، فاستحسن تأكيد الكلام الملقى إليه بـ «إنَ» .

ومن أمثلة التأكيد الطلبي قوله تعالى :«إنَما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان»[26] ، وأداة التوكيد «إنَ» .

وقوله تعالى :«اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة... »[27]

---

[18] النساء،59

[19] الشعراء،197

[20] الحجرات،12

[21] أساليب المعاني في القران ،جعفر السيد، بوستان كتاب،1427،ص20

[22] النور، 47

[23] الكهف،46

[24] دلائل الإعجاز ،عبد القادر الجرجاني ،ص 250

[25] القصص،20

[26] المائدة،90

[27] يوسف،8

للمتردد الذي لا يعرف صحة ذلك الخبر، فقووا كلامهم باللام في «ليوسف».

وقوله تعالى :«قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا»[28] ، والأداة «قد» هي حرف تحقيق هنا.

وكذا قوله سبحانه:«قد بدت البغضاء من أفواههم»[29] .

الثالث : الإنكاري

وهو الخبر الذي يلقى للمخاطب الذي ينكره ويعتقد خلافه، فيحتاج إلى أن يؤكد بأكثر من مؤكد ، كقوله تعالى :«و اضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون ۞ إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون ۞ قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا و ما أنزل الرحمان من شئ إن أنتم إلا تكذبون ۞ قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون»[30] .

أكَدوا أولا بأداة التوكيد «إنَ» حينما كان المخاطبون شاكين في إخبارهم. وهذا هو الأسلوب الطلبي، ولكن حينما أنكروا إخبارهم أكدوا باللام علاوة على «إنَ» فصار الأسلوب إنكاريا.

ومن ذلك قوله تعالى :«إن الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون[31]».

فأكد بـ «إنَ» و اللام لأن المخاطبين هم الكفار الذين ينكرون حدوث الساعة ، فاحتاج الخطاب إلى التأكيد نفيا لهذا الإنكار .

ومنه قوله تعالى :« إنَكم لذآئقوا العذاب الأليم ».

وقوله تعالى :«لتبلون في أموالكم و أنفسكم ».

و قوله تعالى :«إنا نحن نزلنا الذكر و إن له لحافظون ».

ويسمى إخراج الكلام على الوجوه المذكورة (أعني الخلو من التأكيد لخالي الذهن، و التقوية بمؤكد استحسانا للمتردد، ووجوب التأكيد للمنكر) إخراجا للكلام على مقتضى الظاهر. أي الإتيان بالكلام على مقتضى ظاهر حال المخاطب .

2- 3- الإنشاء الطلبي :

الإنشاء عكس الخبر، فهو لا يحتمل الصدق و الكذب في الكلام، و على حد تعريف البلاغيين هو ما يستدعي مطلوبا غير حاصل في وقت الطلب، أو هو كما يقولون بعبارة أخرى : ما يتأخر وجود معناه عن وجود لفظه. و أهم أنواع الإنشاء الطلبي خمسة : النهي والأمر والاستفهام والتمني والنداء .

الخاتمة

وفي هذا الشرح المقتضب نماذج فقط من بحر غزير من علم معاني القرآن الكريم والأمر يبدو جليا في تعاطي علمائنا في محاولاتهم الكشف عن أسرار الإعجاز في التعبير القرآني وهو يسعى إلى لفت انتباه العرب إلى المعاني والدلالات المحفزة على الهداية من خلال ذلك التوظيف، و قد كانت البداية ببحث مسائل الإخبار التي نرى من خلالها كيف تتعدد المعاني بتعدد الصياغات التي ترد فيها و في ذلك كله عمل على إبراز المعنى، حتى يتجلى في ذهن المتلقي و يكون معينا له على الاسترشاد بمعاني الهداية الاسلامية، فالقرآن إنما أنزل حتى يدخل العرب في هذا الدين ثم سعى للتبشير به.

---

[28] الأحزاب،18

[29] أل عمران،118

[30] يس،13-16

[31] غافر،59

قائمة المصادر و المراجع:

1. دلائل الإعجاز في علم المعاني،عبد القاهر الجرجاني ،دار المعرفة ،بيروت،1398
2. الإيضاح في علوم البلاغة ، دار الكتب العلمية ،بيروت،ط1405،1
3. مفتاح العلوم لأبي يعقوب السكاكي، منشورات دار الكتب العلمية،1984
4. علم المعاني والبديع،عبد القدوس صالح ،مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ،1403هـ
5. نقد النثر ،قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي،مكتبة الشباب،مصر1969
6. أساليب المعاني في القران ،جعفر السيد، بوستان كتاب،1427